الأدب الفلسفي
عند حسام محي الدين الآلوسي

الدكتور حازم سليمان الناصر (*)

يعـــد اســتاذنا حسام محي الدين الالوسي[1] ، من الرعيل الفلسفي الاول الــذي دفع بالحركة الفلسفية العراقية بالتقدم الى الامام لمساهماته العديدة سواء كان

(*) مدرس مادة الفلسفة في قسم الفلسفة - كلية الاداب / جامعة بغداد .

(١) ولد في تكريت عام ١٩٣٤ ، بينما تسجيله الرسمي خطأ هو ١٩٣٦ من اسرة الوسية اشتهر أفرادها بالتقوى والوعض والارشاد الديني ، ووالده المرحوم السيد محي الدين الالوسي أمـام وخطيب الجامع الجديد ، وصاحب ديوان يجلس فيه الوافدين من اهل تكريت عصر كل يوم ، وهو مفتوح للضيافة ليل نهار . تخرج من كلية الاداب ، قسم الفلسفة في ١٩٥٦ ، وعين مدرسا في طويريج وكربلاء قبل سفره لاكمال دراسته في المملكة المتحدة عام ١٩٦١، حيث حصل على الدكتورا ه في الفلسفة الاسلامية من جامعة كمبردج عام ١٩٦٥، حيث عاد الى بغداد ، و عين في كلية الاداب ، قسم الفلسفة ، جامعة بغداد في نفس العام ، ثم أعير الى جامعة بنغازي عام ١٩٦٨ ، وقطع الاعارة وعاد الى بغداد في نفس العام . حيث اختاره مجلس قيادة الثورة رئيسا لقسم الفلسفة بعد ثورة تموز ١٩٦٨ مباشرة مع عدد أخر من رؤساء الاقسام .

ألف كتب عديدة في مجالات الفلسفة الاسلامية وفي عصور وحقول الفسفة الاخرى بحيث قدم فكرا تخصصيا وموسوعيا شاملا . وهو مختص في مفهوم مشكلة الوجود ومتعلقاتها كفكرة الزمان وألف فيهما عدة كتب و له بحوث عديدة في مجالات عراقيـة و عربيـة تعطي حلولا فلسفية واسعة ، وشارك في مؤتمرات فلسفية وفكرية داخل العراق وخارجه ، كما أنه مستشار لعدد من المجلات العراقية و العربية و العالمية .

ذلك على صعيد التأليف الفلسفي و المشاركات الخارجية في الندوات والمؤتمرات الفلسفيـــة او من خلال اشرافه ومناقشاته في الدراسات العليا وتخرج عدد من تلاميذه ، اصبحوا الان ممن يعملون اجيالا حب الحكمة و المعرفة .

لا نريد هنا ان نتحدث عن اعمال الآلوسي الفلسفية ، لان المهتمين بهذا الجانب على دراية تامة بها ، بل نعتقد ان عشاق الفلسفة في العراق ، وفي الوطن العربي يعرفون من هو حسام الآلوسي ، استاذ الفلسفة الاسلامية في جامعة بغداد ، فضلا عن ذلك ، فهو متمكن من الفلسفات و التيارات المعاصرة لاتساع مطالعته الفلسفية والثقافية ، ومشاركته في هذا المجال لاتقل عن مشاركته الفلسفيه في الفكر الاسلامي .

نريد هنا ان نصطحب قارىء الفلسفة ومحب حسام الآلوسي الى مجال ربما لم يعرفه عنه الا المقربون جدا اليه من محبي الفلسفة ، هذا المجال الذي يربط الفلسفة بوشائج الحكمة والكلمة اللطيفة السلسة ، التي تعبر عن افكار ومعان ذات عمق ، تعبر عن حقائق واهداف تخدم الانسان وتعزز من قيمته ومكانته في المجتمع الانساني . هذا المجال هو الادب المتمثل بكتابة القصة والشعر .

نعم الكثير يعرف حسام الآلوسي فيلسوفا ، ولكن هم قلة الذين يعرفونه شاعرا وكاتبا للقصة ، فهو يحب الادب ويعشقه مثلما كان يحب الفلسفة ويعشقها ، لذلك نجده اختار قسم الفلسفة على الرغم من ان معدله يؤهله للدخول في اقسام الكليـــة الاخـــرى ، ومن ثم اختار قسم اللغه الـعربية عندمـا اجبره اهلـه على ذلك . لكنه عاد اليه مرة اخرى بعد اسابيع وذلك في عام ١٩٥٢ بداية العام الدراسي، حدثت الوثبة وعطلت الجامعة لمدة شهرين ، فأغتنم فرصة العودة الى الدراسة في الجامعات ، تعاد الى قسم الفلسفة مرحبا به من قبل رئيس القسم ومؤسسه انذاك الدكتور البير نصري نادر.

وربما عاش في تلك الفترة في حالة تخلو من الاستقرار الفكري، بل ربما كان في حالة قلق مستمر لهذا الاختيار ، فهو يحب الفلسفة ويعشق الادب، فياترى ايهما الذي سينتصر على الاخر.

فازت الفلسفة ، لكن حنينه ابدي وعشقه يتجدد باستمرار للشعر وكتابة القصة ، فلا يترك مناسبة الا ويكتب فيها شعرا جميلا منظما ، ولاسيما ان ميله الشعري حسب قول خاله المرحوم جمال الالوسي :

(مكتسب وموروث فجده لامه كان شاعر وله ديوان ضخم في مناسبات شتى وله مراسلات ومرثيات لعديد من علماء عصره) [١].

ولان حساما الالوسي ابدع في الفلسفة قبل الادب،كان عليه ان يزاوج بين فلسفته وادبه ، وهذا ما ذهب اليه فعلا عندما عبر بالشعر عن افكار فلسفية لم يستطع ان يعلنها صراحة في كتاباته الفلسفية وهذا واضح دون ادنى شك في (رباعياته) [٢] ، التي يكثر فيها التساؤل والحيرة والقلق والتي نجد فيها تأثرا واضحا برباعيات الخيام وابي العلاء المعري، فضلا عن ذلك فأنه ألفها قبل نصف قرن من الزمان . ولعل أهم تساؤلاته الفلسفية في الرباعيات هي عن وجود (الله، الكون ، الانسان) انها اسئلة الفلسفة في كل زمان ومكان.

يرى الالوسي ان الانسان ذلك المخلوق الذي لم يرض بالجنة التي وهبها له الله ، ذلك النسان الذي يرتكب الخطايا رغم النصيحة الربانية له،الاانه والحق يقال غير معصوم من الخطأ ولو كان كذلك لتساوى الناس في كل شيء فهو يخاطب الله تعالى في قوله :

---

(١) المطيعي ، حميد: حسام محي الدين الالوسي (موسوعة المفكرين و الادباء العراقيين) ج ١٨، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٧٣ .

(٢) كتبها وهو طالب في الثانوية وتعد من المحاولات الاولى لكتابة الشعر ، وعدد الرباعيات (١١٧) مائة و سبع عشرة رباعية ، وهي ما تزال مخطوطة .

يـارب ياخـالق البرايـا
لو جئت بالناس خيريـن
ماكان من جنة ونـــار
ولا جنـــاة وظـالمين

نعم انه يتساءل دائما عن سر هذا الكون ،وهذا الوجود كلـه ،بل انـه يتسـاءل عـن وجـــوده ، ولعـــل هذه اسئلة تنشدها الفلسفة منذ نشأتها الاولـى ، وهـي اسئلة لم تغب عن الالوسي في طروحاته ومؤلفاته الفلسفية الخالصـة ، لكنـه عبر عنها فـي الادب سواء كان ذلك في (قصصه) [١] ولا سيما قصته (الجنـة) [٢] او شـعرا ، وهذا مانجده في قوله [٣] :

طـلاسم الكون هل تحـلي
وانت يـــارب هـل تجـــود
لا اعرف القصد من وجودي
ومنشأ الكون والوجـــود

كذلك قوله [٤] :

رقد السمار حولي كلـهم وانا وحدي الذي لم يرقـد
لم ازل اسأل من اين انا والى اين سأمضي في الغد

يـرى الالـوسـي ، انه لافـــرق بيـــن انســـان وآخـــر الا بعمله ، على هذا

---

(١) له قصص كثيرة غير منشورة ، سنتحدث لاحقا عن القصص التي لها علاقة ببحثنا .
(٢) كتبها عام١٩٥٤، وحاول في ١٩٦٢ أن يعيد كتابتها في كمبردج وبقيت المحاولة الى الان .
(٣) الرباعية الثالثة والثلاثون .
(٤) الرباعية الثامنة و الاربعون .
(٥) قصيدة كتبها بـ (٢٧) بيتا ، و كانت ثالث محاولة مبكرة له في كتابة الشعر . وقد تم نشر مطلع القصيدة في جريدة الثورة ، صفحة تحقيقات(الجذور)، الحلقة الثالثة ، في اللقاء الذي أجراه الاستاذ حميد المطبعي بتاريخ ١٩٨٧/٤/٢٧ وربما كتبت ما بين عـام (١٩٤٨-١٩٥٤) .

الاساس ، فهو يحب ان يعم الخير الجميع ، وان تسود الحرية أبناء المجتمع ، وتعلو راية الفكر لان به يصلح المجتمع ، وبفساده يفسد .

ففي قصيدة (مسرح الحياة) [1] المشبعة بالافكار الفلسفية وهو لازال في بداية محاولاته الشعرية ، نجد ان الافكار الفلسفية جاءت في اعماله منذ محاولاته الاولى ، ولعل هذا عائد الى ثقافته واهتمامه المبكر بالاعمال الفلسفية وتأثره بالادباء من امثال المعري والمتنبي وطه حسين فضلا عن قراءاته المختلفة والمتنوعة ، وهذا مانجده في بعض الابيات التي يقول فيها :

مسرح الظلم والسرور مسرح الفقر والسقم
مُذ رأت عيني الحياة حز في نفسي الالم
سئمت مُذ جئت عالما فاسد النظم والقيم
جرفت ناسه الشكوك ورمتهم الى العدم
مسرح البؤس والشقاء مسرح الخبث
مسرح البغي والضلال مسرح الجهل والنمم
اترى كنت روضة ملأت ارضها النعم
ملأت ارضها الورود لا قتاد ولا ظلم
لاأنين و لا بكاء بل رقيق من النغم
أم بقايا عوالم هدمتها يد القدم

ولاننسى ان تساؤلات الالوسي عن الله ، عن كنه هذا الخالق العظيم تتجسد في الحوار الفلسفي الذي يقيمه الالوسي مع نفسه، ومع الله في قصيدة (ابتهالات)[1]،

---

(١) كتبها الالوسي وهو مازال طالبا في الدراسة الثانوية وهي على شكل مقطوعات ، وسألته اثناء لقائي به بتاريخ ١٤ تشرين الاول ١٩٩٦ اين نضع مقطوعة الابتهالات ضمن محاولاتك الاولى لكتابة الشعر ، فأجابني انها تقع بعد الرباعيات ثم بعدها تقع متطوعة شوق الى روح الله .

التي تبين عظمة الخالق وايمان الشاعر به ، بل يريد الشاعر هنا ان تتجسد نفسه في حب الله والتعرف الى كنه وحقيقة هذا الاله، فهو في تساؤل دائم عن السر الالهي الذي اودعه الله فينا دون ان نراه، وكل مايتمناه الشاعر ان يتحقق له ذلك بالرؤيا القلبية :

من الارض من حجرتي النائية ... تطير دعائي الى المختفي
وتصعد كالزفرة الخاوية ... تساءل عنه لماذا خفي
واسري فتسري معي زفرتي ... تفتش عن طائف لم تر
وترجع اعقابها حيرتي ... في نفسها ان تعيد السرى
فتسري وتعدو كما قد سرت ... تفتش عن سر هذا الصدود
ولكن تعود كما بدت ... وفي نفسها ان تعود
اسائله وبقلبي لهيب ... وروحي تجهل كنه الاله
وقالوا تنزه هذا الحبيب ... فقلت ولكن لو انا نراه

ويقصد الشاعر هنا كما ذكرنا الرؤية القلبية . واذا كانت تلك التساؤلات تمثل فترة الصبا وبدايات النشاط الفكري للالوسي الشاب ، فأن هذه التساؤلات تطلع علينا مجددا خلال فترات حياته كلها ، كما يتضح هذا بشكل متزايد كلما تقدم به العمر والتعمق وخصوصا في قصائده الاخيرة ، التي نظمها خلال العامين السابق والحالي . حيث نجد اروع تصوير لتساؤلات الالوسي عن الكون في قصيدة (الضياع) [1].

التي يعترف فيها انه من الصعب جدا معرفة هذا الكون ، بل اعتبره لغزا حير الانسان ، مثلما الانسان حير هذا الكون الذي يجهل بدوره حقيقة الانسان

---

(١) قصيدة كتبها الالوسي بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٩٦ .

وماذا يريد هذا المخلوق العجيب الفاني فهو يقول [١] :

ايها الكون الذي اجهله ايها الكون الذي يجهلني
ايها الكون الذي ضيعته مثلما عن عمدا ضيعني
ليتما تشعر كي تشعر بي ليتما تعقل كي تعقلني
تاه شخصانا فمن ينقذ من ليتمل مما انا تنقذني
انما الفكر عناء دائم خلني عنه ، غباء اعطني
يقف العقل كسيرا عاجزا وهو بالافكار موار غني
ويظل الكون سرا مغلقا وسؤالا حائرا حيرني
نتوالى عقب من عقب ثم نمضي في بطون الكفن

لقد عالج الالوسي اغلب المسائل الفلسفية في ادبه ، فهو لم يترك مسألة تناولها الفكر الفلسفي باهتمام بالغ الا وجعلها احد المحاور الرئيسية في ادبه ، ولاسيما تلك المسائل المهمة التي تناولها الالوسي بشكل بارز في مؤلفاته وكتبه الفلسفية ، ومن هذه المسائل ، فكرة الزمان ، التي تعد بحق من المسائل التي ابدع فيها استاذنا الالوسي تأليفا ونقاشا وحوارا في المحاضرات والندوات التي اقيمت خصيصا لدراسته هذه المسألة .

على هذا الاساس نجد ان فكرة الزمان تبرز في قصائده ولاسيما تلك القصائد التي ألفها مجددا ، ونجده يشير الى الزمان بصورة اوبأخرى ، فهو مرة يصوره بعمر الانسان يكبر ويترهل ويأتي زمن اخر غيره ، ولعله ينظر الى الزمان هنا مثل ولادت الانسان ، يولد انسان ويموت ، وهكذا الحال بالنسبة للزمان ، يذهب

---

(١) انظر كتابه ، الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم ، بيروت ١٩٨٠ ، وكذلك من خلال كتابه : حوار بين الفلاسفة والمتكلمين ، بغداد ١٩٦٧ . ومحاضرته في ملتقى الرواد عن الزمان ١٩٩٥ وصيف ١٩٩٦ . وبحثه الجديد ، مفهوم الزمن في الفلسفة عموما وفلسفة العلم خاصة ، مجلة الرواد العراقية ، العدد الاول ١٩٩٦ .

زمان ويأتي غيره ، وهو يتساءل ما الذي يقدمه الزمن الذي يتلو الزمان الذي قبله فيقول [١]:

وهـــن العمر وعـام قد وهن واتى عام وما احسـن ظـــن
زمن يتلـــو زمـــان قبلـه احن مضغـوطة فـوق احـن
وولادات جـــــديدات اتـــت وحوى ضعف الولادات تحفن
من اتى او من مضى في حسرة ليـــت شعري هذه الدنيا لمن
اتـــمنـــى انـهـــا عـامـرة بالمنـــى يرفل فيها من سكـن
انـما نعـلم مما قـــد مـضـى أن ما ياتـــي بـماضيه إرتـهن

ثم يرى انه مهما تفلسف ومهما كثرت تساؤلاته عن الزمن الذي ذمه الشعر واصحاب العقول الا ان هذا لا يجانب الحقيقة التي تقول ، اننا في هذا الزمن مخلوقات عابرة ، فالزمن واحد ونحن الذين نتعدد فيه ، وهمومنا ومشاكلنا واحدة فيه ولعل هذا هو السر الذي يجعلنا نعتقد ان الازمان متعددة ، وفي الحقيقة هي واحدة ونحن فيها مقيدون ، بل ان الانسان يمر في زمن كانه لمحة برق وكومضة ثم تنطفئ ، وهذا ما يجسده في الابيات [٢].

وتفلسفت فما اجـدى ومـــا فـك عني حيرتي علم وفن
وتســؤلات كنار جـمـــة ليس من حل لها يوما ولن
مالـذي نطلبه مـن زمـن ذمة الشعر واصحاب الفطـن
نـحن فيه ومضة طـارنـة ثـم تغتـال فـاه يـــازمـــن
نتـعادى نتصـافى نمتحن ثم نمضي مثل وشم في دجن
او كمن يكتب في الماء ومن خط في الرمل اكاذيبا وسن
دلـنـــي عـن زمـن ليس به بعض مانلقاه من هذا الزمن
انـمـا ازمـانـنـا واحـــدة نحن فيها مثل عبد مرتـهـن

---

(١) قصيدة للعام الجديد ، كانون الثاني ١٩٩٦ .
(٢) المصدر نفسه .

والالوسي يقدم لنا وصفا فلسفيا و عاطفيا لحاجز الموت وحكم الموت في قصيدة رثاء ابن خاله (نزار) [١] ، الذي توفى فجاة :

ايهـــا المـــوت اين منك الفرار	والـى ايـة وانت الـمـدار
ولمن نشـــتكي وحكمـك جـار	فـي البرايا وفي يدك القرار
كـل ذي غيبـــة فـلابـد يـوما	عائد والدروب خضر قصار
غير درب الرؤى فما فيه عود	بعـد المنتأى وشـط المـزار
هي خلف الرؤى واغمض من أن	يتـــحرى طـريقـها او يسار
وعلـى كثـرة الدهـور فإنـــا	ما أتـــانـا مـن اهـلها ديار
بيتنا حائل الـممات وصـرح	مـن غـيوب وحاجز جبار

كما انه يريد ان يبين لنا في الابيات السابقة ، ان الموت محيط بنا ، لادافع له ولاعائد منه ، لذلك اتسم وصفه للموت فضلا مما تقدم بالأسى والهلع .

لقد حاول الالوسي محاولة جادة في ربطه بين الزمان والموت ، بل زاوج بينهما عبر الصراع الدائم بين الخير والشر فهو يتمتع بحس مرهف ، وعاطفة جياشة ، فضلا عن ذلك فأنه يتخذ من الاحداث التي يحياها موضوعا للقصيدة التي يكتبها ، لكنه في بعض الاحيان لايعلن عنها صراحة ، وانما يرمز لها .

نعم انه يستخدم الرمز للتعبير عن همومه ومشاعره واحاسيسه كما في القصيدة (الى ازهار وصغارها) [٢] ، حيث يصف فيها الصراع بين الخير والشر داخل الانسان ، ويصف حياة الانسان التي يرى انها مرهونة بيد الاقدار ، الاقدار التي تتحكم بالانسان ، فمرة ترفعه الى اعلى المستويات ، وتهبط به الى الحضيض مرة اخرى ، وهذا الامر يرجعه الى عبثية الكون وجشع واعتدائية احيائه .

---

(١) قصيدة كتبها عام ١٩٧٨ ، برثاء ابن خاله (نزار) وهو أبن المرحوم الاستاذ جمال الدين الالوسي رحمه الله تعالى ، وروح رضيعة الشاعر .

(٢) كتبها عام ١٩٨٦ ومطلع هذه القصيدة منشور في القادسية العراقية (الصفحة الثقافية) ، ١٩٩١/٩/٦ .

وازهار هذه قطة جميلة تعيش في دار الشاعر ، يضطر مكرها الى نقلها مع صغارها خارج بيته ، بل انه يقذف بهم في متنزه بعيد عن داره ، ثم يبدأ صراع داخلي يعيشه بسبب هذا الفعل ، لعله تأنيب الضمير ، الذي يسبب قلقا يعيشه وحده مع نفسه ، يتمثل في الصراع بين الخير والشر ، فكتب هذه القصيدة واصفا من خلالها ، الزمان ، الموت ، القدر ، الانسان ، القوة ، الضعف ، النفس ، وكل مقولة من هذه المقولات تعد مشكلة اساسية من المشكلات التي تعالجها وتهتم بها الفلسفة ، بل هي مشكلة فلسفية قائمة بذاتها . يقول الالوسي في مطلع هذه القصيدة :

حزني عليكن حزن ليس ينقطع ما في يدي حيلة لكنني وجع
قضى الزمان وحظ ليس يتسع لمثلكن وكون عابث جشع
بان يموت صغار بعد مارضعوا ويعتدي وشلا في غابة السبع
جاءت تمسح بي تبدي مرارتها ياسامح الله اهلي ما الذي صنعوا
شدو وشدو فما اجرت مدافعتي عما نووه وما أجداهمو ورع
لااعتبن على ما قد جرى ابدا فكلنا بيد الاقدار منصرع
وانما انا مخزون على سنن هو جاء رعناء تبني ثم تقتلع
تغري بينهما على بغص وتأكلهم ببعضهم وتذوي كل ما زرعوا
وسامح الله من قد قد من حجر مستهزئا انني في تافه ولع
رفقا فما انا لاه عن شدائدها ولبست غرا بما قد لاح ينخدع
في القلب متسع للناس اجمعهم وفيه للاخوة الاحياء متسع
هم مثلنا امتم هم مثلنا قدر كل على غصة للموت مرتجع
لولا شريعة غاب مم تجمعنا وحاجة يقتضيها الجوع الطمع
وعاشو ولودوننا في عيشة رغد الشاة ترغد حيث الذئب يضجع

وفي هذه القصيدة ، نلتمس الوصف المتميز والقدرة العالية على التصوير . ونجده ينقلنا فجأة الى وصف دقيق وتصويري لحال هذه الام الثكلى (القطة)

فيقول :

لكنمـــا اسفـا ازهـار واقـفـــة فيها سؤال عن الاطفال ما صنعوا
نظرتـــها لم تعد كالثلج ناصعـة مـن السخـام عليهـا جمـة بـقـع
مسكينـــة قـد قضت ليـلا فقشـة عن الصغار وفي سيمائها فـزع
تمو دون انقطاع وهي الحضـــة ووجهـا دون دمـع بـائـن دمـــع
وحينمـا عجـزت وانهـار قائمها ولـم يعـد عنـدها للصبر متسع
جـــاءت الـــي لتشكـــو ماتكـابـره كما الى اللـــه يشكو بائس جزع
وما درت انني من بعض من مسكوا ومن ولوكارها فـــي موتهن سعو

لعلني لا ابتعد عن الحقيقة اذا قلت ، ان اغلب قصائد الالوسي تتوشم بـالحزن الظاهر ، مما اعطاها طابعا تشاؤميا ، وربما هذا يدل على تأثر الألوسي بالشاعر الفيلسوف ابي العلاء المعري ، الذي نجد فـي اغلب قصائده طابعـا تشاؤميا ، بل نجد نفحة الموت في اغلب قصائده ، ومن قصائده التـي نجد فيها اثر ابـي العـلاء واضحا قصيدة (لقاء الاحفاد بالاجداد)[1]، بعد نقلهما الى مثوى العائلة ومطلعها:

جاء عيد الاضحى فآه فؤادي
عاقر الحزن واتشح بالسواد

والقصيدة طويلة فهي اكثر من سبعين بيتـا يعبر فيها الشاعر عن اكتراثـه واكتراث عائلة الالوسية واهل تكريت الكرام لهذا الحدث وفيها يخاطب حكيم الزمان (المعري) :

---

(١) كتبها قبل عيد الاضحى المبارك من عام ١٩٩٣ لفقد وفاة جده علي صلاح الدين الالوسي وخاله شمس الدين من رحبة (الاربعين) الى مثواهما في المقبرة الالوسية للعائلة .

يا حكيم الزمان والامر باد
وشبيه بميت من تنادى
والمعاذير كلها ليس تحدي
مثلما خاب ناقخ في رماد
(ان حزنا في ساعة الموت
اضعاف سرور في ساعة الميلاد)
فميد في ملتي واعتقادي
نوح باك مجلبب بالسواد
بشر نحن لاجحاد وفينا
نغمات ما وفرت لجماد
ودموع الارواح اكثر وقعا
من دموع على الخدود بواد
وجراح النفوس آلم وخزا
من شديد الجراح في الأجساد

من كل ما تقدم ، نرى ان الالوسي يعيش في قلق دائم في هذه الدنيا ، ولعل اكثر شيء يقلقه هو الموت وهذه حقيقة يعترف بها عند اجابته عن سؤال وجهه له المطبعي في مناظرة جدلية بينهما حول النفس [1]:

- المطبعي : لماذا اختلف الفلاسفة حول النفس ؟
- الالوسي : لانهم لم يعرفوها ، او انهم يؤثرون الحلم !
- ونفسك انت
- الحلم احلى من الحقيقة
- وهل من قلق فيها ؟

---

(١) المطبعي ، حميد : حسام محي الدين الالوسي ، ص١٥٧ .

- يقلقها انها ستموت ، وان كل ما تعرفه بيقين انها ستموت !

وفي سؤال اخر للمطبعي :

- ما الذي يطارد الانسان في كل زمان ؟

- الغير ، المرض ، المجهول ، وبحيرهم (الموت) [١] .

وربما لهذا السبب عاش الالوسي في اواخر الثمانينات تجربة صوفية قوية ، وبدا ان كل حيرة وشك قد زالت عنه ،فنظم قصيدة لم يكملها بثلاث ابيات [٢]:

اسفا على ما مر من ايامي — مزقت اوراقي وصنت كلامي
فلقد غوى عقلي وأمن داخلي — وانا الى لقيا الحقيقة صنامي
سأسير في دربين كل توحدا — في الدرب يطلع قادم الايام

ويبدو ان هذه الحالة استمرت بدليل انه في رثاء في اربعينية خاله المرحوم جمال الدين الالوسي ، اعاد نفس الهاجس حيث يقول [٣]:

ها انا والمشيب جلل رأسي — وفؤادي بحكمة الدهر عامر
ويقيني يزداد في كل يوم — اننا لعبة وذا الدهر غادر
لم أجد مثل وقفة الموت شيئا — فيه يلقى اليقين اسيان حائر
وبه تكشف الحقائق جمعا — معطيات معنى اكون عاثر
هاهنا عند حفرة القبر يبدو — كل شيء من دونما اي ساتر
ينتهي الزيف كله ليس يجدي — مال قارون او كنوز القياصر
غير انا برغم وعظ المنايا — ابدا لاهثون خلف المظاهر
نتفانى على الهشيم زمانا — ولقبض السراب نحن نقاصر

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٥٨ .

(٢) ذكر لي هذه الابيات خلال لقائي به في ١٤ / ١٠ / ١٩٩٦ .

(٣) قصيدة بعنوان (في ذكرى الاربعين) كتبها بتاريخ ١٩٩٣/٤/٥ والقاها في الحفل التأبيني في قاعة الرباط ١٩٩٣/٤/٩ . ونشرت في جريدة القادسية بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته في ١٧ / ٢ / ١٩٩٤ . وذكرنا قسم منها هنا .

على الرغم من ان حسام الالوسي لم يتأثر بالفلسفة الوجودية ،بل له موقف منها[١]، الاننا نرى ان المقولات المهمة في الفلسفة الوجودية قد تتاثرت هنا وهناك ومن هذه القصائد قصيدة (العزبة) [٢]، التي يقول فيها:

علام اشتكاء القلب من ظلم دهره ... وحتام هذا اليأس حتام وحدي
ولو كان لي قدرة لقطعته ... واحللت قلبا من جماد وصخرة
لعلي وما يجدي الرجاء معذب ... اعيش فلا يأسي ولاطول دمعي
وعلي وما يجدي لعل اخا شجا ... يزول الذي بي من شقاء وعضة

لقد صور الالوسي الغربة اروع تصوير في كثر من قصائده فمرة يتحدث عن الغربة عن الذات ،غربتة عن ذاته، ومرة يصفها بالفراق عن الديار والاهل ،فعندما سافر الى ليبيا ليدرس هناك في بنغازي استاذا في جامعتها، احس انه ارتكب خطأ، بل اعتبر اثما مثلما فعل سيد آدم ، وراح يطلب من الله ان يغفر له ، فبدا بالقصيدة التي اسماها (الخروج من الجنة) [٣] رامز لخروج سيدنا آدم من الجنة الى الارض حسب الادب المسيحي واليهودي وهو عند الالوسي خروج من جنة العراق من جنة اهله واحبابه الى ليبيا حيث الغربة والفراق والوحدة ، لذلك فهو يتمنى الرجوع في اي لحظة ، لانه احس انه تغرب عن بلاده واهله منذ دهر يبحث عن السعادة التي كان يحكم بها والان اكتشف انها حقيقة موجودة في مكانه الاول وليس في غربته .

---

(١) نعتقد ان هذا الموقف يتضح بشكل صريح في قصته (حياة طالب مناضل) والتي كتبها ١٩٥٤ ، وموقف الالوسي يتسم فيها بالرفض للفلسفة الوجودية ولاسيما في موقف بطل الرواية الذي يمثل شخصية الالوسي . انظر ص٣٣٤ مخطوطة القصة وفيما بعد . ونجد له نقدا مفصلا للوجودية في كتابه الفلسفة والانسان الفصل الثاني ص٦٤ فيما بعد .

(٢) كتبها بعد تعينه في طوبريج ١٩٥٧ .

(٣) كتبها في ٥ تشرين الاول ١٩٦٨ وهي تتألف من خمسة مقاطع .

آدم في باب كهف الكنز [١] جفت مقلتاه
صلب العينين وامتدت الى الله يداه
يا الهي : لا تؤاخذني بذنب انت تدري من جناه
واعف عني ، واعدني
يا الها واسع الرحمة ارجعني ، أعدني
أطبق الكون على صمت وما في الافق العلوي نجمة
و استمر الليل احقابا طوالا محض صمت محض ظلمة
و بباب الكهف يحثو آدم في قلبه حزن مهاجر
ربط الحاضر بالماضي فما يعرف من آت وحاضر

ان اروع تصوير للغربة نجده عند الألوسي في قصيدة [السفينة في اليم][٢] حيث يصور غربة الانسان عن ذاته في هذه الدنيا ، فالانسان لا يعرف مذا يريد من هذه الدنيا ، فيغيش في قلق دائم مستمر ، ويبحث عبر هذا القلق عن وجوده الحقيقي ، الذي لايتوصل اليه في يوم من الايام ، فكلما احس انه اقترب من هذه الحقيقة التي يبحث عنها محض حلم يراوده كلما حن الى ذاته ، واراد ان يتمرد على قلقه وهذا ما يجسده في هذه القصيدة التي يقول فيها :

نحن اغراب ودنيانا سفينة
ابدا تضرب وجه البحر لا تعرف مرسى
عمرنا زيت ويطوي الموج من ينفذ زيته
ويظل السفن الملعون فوق اليم لايعرف مرسى

---

(١) في الادب اليهودي المسيحي توجد قصة بعنوان (قصة كهف الكنز)
The story of cave of treasun

(٢) قصيدة كتبها في الخامس عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٦٨ في بنغازي .

ويطول الليل ، تشتد الرياح ، يزيد الموج ، وربان السفينة
اين ربان السفينة ؟
قيل في طابقه العلوي تدميه شجونه
ثملا قد ترك المقود للريح تعونه
وعلا الموج وماجت في غمار اليم واتسد على ركابها كل طريق للنجاة
وسرى همس : راينا غرفة (القبطان) ، يا اصحابنا في الدرب
هذا الفلك ولايحمل ... ربانا سوانا
غير أنا ليس ندري وجهة توصلنا الشاطيء تعطينا الأمانا
مر ليل واتى ليل وفي معترك اليم سفينة
ابدا تقتات من اعمار اغراب عليها
ابدا لاتعرف الشمس لها دربا اليها
ابدا في قبضة الموت رهينة

هـذه الغربة ، اظهرت حقيقة ربما كـانت غائبـة عن بـال شـاعرنا الا وهـي حبه الشـديد لبلـده ، وحبـه الشـديد لـ (بغداد) ، فيقـول فـي قصيـدة (الجمعة الحزينة) [1] :

عبثا تعتب بنغازي لاني
جسدي فيها وقلبي في بلادي
سكنت بغداد قلبي
وارتوت منه مغانيها النديه
وتلاقت صدر الكون على عتبة ... بيت من بيوت الاعظمية

ولعل حبه لمدينة بغداد يبرز في قصيدة (رجاء) [2] ، يقول فيها :

---

(١) كتبها في بنغازي في الثامن عشر من شهر تشرين الاول ١٩٦٨.
(٢) قصيدة كتبها في السابع عشر من تشرين الاول ١٩٦٨ .

ايها البحر الى بغداد خذني
فوق ظهر المد احملني وخذني
اوعلى ظهر سفين بات يغرق
اوحطامات شراع يتمزق
اوعلى جنح سحابة
اوكذنون ببطن الموت خذني
انا في دمعي اغرق
انا من شوق امزق

ان الادب عند حسام لم يقتصر على كتابة الشعر وانما كان للقصة ، والقصة الطويلة دور مهم في حياته التي تجمع بين الفلسفة والادب [1].

على هذا الاساس قام الالوسي بكتابة قصص عديدة ، لكنه لم يحاول ان يخرجها الى النور ، بل بقيت في مخطوطات ، ولو حاول نشرها في ذلك الزمن ، لاصبح لها حديث اخر للافكار وللمعاني التي تحملها ، بل لربما عد الالوسي الان من رواد القصة العراقية ولاسيما ان هذه القصص تحمل الشروط الفنية للقصة الناجحة ، ومن اهم هذه القصص ، قصته (عائد من السجن) ، تدور احداثها حول سجين سياسي يعيش في السجن اربع سنوات يعود بعدها فيجد ان اباه وامه قد فارقا الحياة ، فيصبح ملكاللناس والوطن ز وقصته (اقوى من القدر) ، وهي على شكل مذكرات يومية ، تتحدث عن ابن حمال يصبح فيما بعد معلما ، يعيش في ظروف صعبة حيث يصاب بالصم والبكم ، يجوع ويموت اهله نتيجة لذلك .

---

(١) كل القصص التي سنذكرها لاحقا موجودة على شكل مخطوطات عند المؤلف وصرح بها اثناء اللقاء الذي اجراه الاستاذ حميد المطبعي مع المؤلف في جريدة الثورة العراقية الصادرة في ١١ / ٥ / ١٩٨٧ ، صفحة تحقيقات ، الجذور ، الحلقة الرابعة وللمزيد ، انظر ، المطبعي ، حميد : حسام محي الدين الالوسي ، ص ١١٣ - ١١٩ .

وقصته (المنتحرة) ، التي يبدءها بتصدير رائع يقول فيه (احب ان ابرهن ان الناس لايخلقون اشرارا) ، وهناك قصة اخرى اسماها (نهاية آب) بطلها رجل ريفي يزور المدينة فيصطدم بالواقع الجديد الذي يختلف عن واقعه . كل هذه القصص كتبها في السنة الاولى لدراسة الفلسفة في كلية الاداب .

وله مجموعة قصصية اخرى بداها بمذكرات لعام ١٩٥٤ فيها الكثير من الشكوى والتساؤل ووصف واضح لسيرته الذاتية ، وله في هذه المجموعة قصص اخرى منها (طريق الخطيئة) و (اليتيم) و (حقيقة الفصلية في الارض) و (الى المبغى) لم يكتف الالوسي بكتابة القصة القصيرة كما ذكرنا سابقا وانما كتب القصة الطويلة والتي تطلق عليها اليوم ، اسم (الرواية) ، ومن هذه القصص الطويلة ، يحق لنا ان نصفها بـ (الرواية) ، قصة (الجنة) والتي هي عبارة عن حلم ليلة يتحدث فيها صديق الراوي والذي نعتقد انه المؤلف نفسه، وهو بطل الرواية عن حياة وقوانين وتشريعات اهل الجنة من خلال معطيات القرآن والحديث ، حيث تسود حياة متزمتة ، وتسود قيم الزهد عند منة من اهلها ، بينما يبالغ اخرون في الملذات وتعديد الاماء والزوجات فيكثر اللفظ والنقاش ، فهنا رجل من الطريق الاول ، يتحدث عن ضرورة ترك الهوات والانصراف الى محبة الله ذاكرا لهم ثواب الله لمن لمن طاعة بالجنة التي تزوان بالنعم مذكرا الناس بالدنيا التي يصفها بالخساسة والدنائة فهو يقول : [ان الدنيا الان معبد للشيطان ايها الصالحون انه الجوع يملأ جنباتها ، وان الخنافس طعام اهلها ، وان التباغض والتناحر سيريك ارجاءها] [1] .

وهناك صور اخرى متعددة يرويها الراوي ، فمثلا يصف لنا الراوي الحياة في سجن كبير ، ينقسم الى قسمين ، الاول للرجال ، والاخر للنساء .

---

(١) الالوسي، حسام : الجنة ، مخطوطة ، ص ٣٣ .

في سجن النساء ينتقي المؤلف (الراوي) بعض قصص النساء ، فيروي لنا قصة واحدة من النزيلات ، انها كانت تعيش مع والدها العجوز ، رفضت ان تكون محضية لاحد ربابة القصور ، لكنه يجبرها ان تقضي معه ليلة المه بعد ان يوثق يديها ويقيدها في مخدعه مهددا اياها بالموت ، بعد ذلك تنتقم لشرفها بضربه بفأس على راسه ،فيموت ، فيقبض عليها العبيد وتكون نهايتها في هذا السجن .

وفي سجن الرجال يقص لنا الراوي قصة شيخ عبيد ذولحية ، سجن منذ عشرة سنوات لا لذنب اقترفه وانما لانه صنع دواء يشفي بعض الالتهابات فاعتبروا عمله هذا تدخلا في عمل الله ، ومن ثم هذا العمل لم تقل به الكتب الدينية وانه يعرض الاسم الاعظم والتعاويذ بهذا الاكتشاف للاهانة ،لانها لم تعد الدواء الوحيد الذي يشفي الناس وشهد بعض الاطباء الذين يتخذون التعاويذ وسيلة للشفاء فاستجاب لهم القضاء .

لعل الالوسي هنا يريد ان يذكرنا بقصة شيخ الفلسفة (سقراط) الذي التف حوله الشباب للحكم التي يقولها ،مما اغاض بعض تجار اثينا، ولاسيما بعد ان احتلت شعبية سقراط المرتبة الاولى ،فاتهموه بافساد الشباب والتدخل في عمل الاله ، لان الحكمة صفة لايتمتع بها الا الالهة ،فحكم عليه القضاء بالسجن والاعدام بعد ان شهدعليه هؤلاء الحاقدون ،فكانت نهاية سقراط،ومن ثم انتصار قضية الفلسفة .

كما نرى ان الألوسي في هذه الرواية ينادي بحرية الانسان ، حيث يرى ان الابداع يموت منذ اللحظة الاولى اذا فقد الانسان حريته ، كما انه يعطي للعقل اهمية كبيرة ، وهذا ما نجده في حديث الراوي على لسان عاقل يرشد الناس فيقول لهم :

يا قوم : [ان اللعبة قد انطلقت عليكم .. انكم مخدوعون وان القضاء على شروركم لاياتي عن طريق التمنيات ... حكموا عقولكم واعملوا لاصلاح ما اعوج امركم] .

لم يكن الراوي في هذه القصة الا رجلا غير عادي ، فهو يتمتع بحكمة وذكاء حاذق لانه ينظر الى الاشياء المحيطة به بدقة متناهية مؤكدا على دور العقل في تسير الامور ، فضلا عن نظرته للزمن ، فهو لايتحدث عن زمن واحد ، بل يتحدث عن زمن نفسي يعيشه المؤلف ، زمن ماضي فيه كل شيء يرتبط بالعادات والتقاليد ولعل هذه التقاليد تقيد الانسان وتحد من حريته، وزمن نعيش فيه، يرى الراوي ان العادات والتقاليد اصبحت مساحتها محددة لان الانسان ينشد الحرية التي يريدها ، بل انه احيانا يسعى لحرية لا تحدها حدود .

كما اعتقد ان المؤلف لم يتحدث في هذه القصة عن(جنة حقيقية) لانه اراد ان يتحدث عن هذه الدنيا مرمز لها بـ (الجنة) ومن خلال ذلك طرح عدة افكار فلسفية ،بل نقول تساؤلات فلسفية ،منها هل العالم وحده يكون هذه الدنيا ؟ ام هو واحد من مكوناتها ،ثم يتساءل عن الله والعدالة التي يتمتع بها ؟ وعن نشأة العقيدة ومصدرها؟ وعن الصراع بين الخير والشر ، ودور العقل في حسم كثير من الامور .كذلك نجده ينشد الحرية للانسان والمساواة بين الرجل والمراة فهو لايريد حقا، ان تبقى المراة ملكا مشاعا ومتعة آنية للرجل لااكثر من ذلك .

لقد جاءت هذه الرواية من قراءاته المتشعبة في الفلسفة وعلم الكلام وآداب الشعوب الاخرى ، وهذا ماساعده على ان يتصور صعوبات في الجنة ، اذا بعثت الاجساد مع اختلاف في القيم والمأكل والملبس وتصورهم للاله وعباداتهم ، اذا رجعت لهم الذاكرة ،ذاكرة الدنيا ،فكيف ينسجم الحال فيصور لنا الالوسي مجتمعات حريم، ومجتمعات معاكسة ، مجسم كل هذه الامور والرؤيا في رواية فلسفية واحداث ومصارعات فكرية بين طوائف الملل والفرق المختلفة ، وهي تعبر عن حالته في الثانوية ، حيث الفها في تلك الفترة .

لقد حاول الالوسي ان يكمل هذه الرواية في كامبردج عام ١٩٦١ وبقيت المحاولة الى الان لم تنفذ.

ان موضوعات هذه الرواية ، موضوعات فلسفية واضحة ، ولايمكن ان تقيسها باي شكل من الاشكال بما في رسالة الغفران لابي العلاء المعري، او بالكوميديا الالهية لدانتي لانها تغور بشكل اعمق في المشاكل الفلسفية ، لانها تمتاز بالفلسفة الجدلية التي تتعدد فيها الرؤيا والتساؤلات ،بل نجد فيها قلبا وعقلا يتساءل.

تروي روايته الثانية (حياة طالب مناضل) [١] ، ماحدث لـ (احمد) ، طالب الفلسفة في كلية الاداب في بغداد، الذي يلتقي عن طريق الصدفة بـ (منى) ، طالبة الفلسفة في نفس الكلية ، في قطار البصرة حيث ينجذب احدهما للاخر ، وبينما كان احمد يطالع في كتاب للفلسفة تقول منى :

هل تتفضل بالسماح لي بتقليب هذا الكتاب

احمد : تفضلي

ولم تلبث الفتاة ان قالت وعيناها في الكتاب :

- انه كتاب في الفلسفة ... اني احب هذا اللون من الكتب .....

فقال احمد:

- اني مولع بها [٢] .

اذا بطل الرواية مولع بالفلسفة و يعشقها ، و هذا حال الشخصية الثانية والتي تعد من الشخصيات الرئيسية في الرواية و (منى) وصيفة البطل تحب و تعشق الفلسفة ، اذا لابد أن تحمل هذه الرواية كثيرا من الافكار و الابعاد الفلسفية من خلال أحداث الرواية .

أن أختيار الالوسي طالب الفلسفة تحديدا يضيف نجاحا شكلنا اخر للرواية لما تحمله من اشكال أخرى في الثقافة و السياسة .

---

(١) كتبها عام ١٩٥٤ ، وربما بدا بكتابتها مابين عام (١٩٥٢ - ١٩٥٦) .

(٢) الالوسي،حسام : حياة طالب مناضل (رواية) مخطوطة ، ص٢ .

وتدور أحداث الرواية، فيذهب احمد الى اهله في العطلة الصيفية ، فيجد والده مريضا ، فيقرر الانقطاع عن الدراسة و مزاولة العمل ، فيعمل عامل بناء (يناول الطابوق)، لكي يعيل اهله ، ثم بعد مرور شهرين او أكثر بقليل ، سقط احمد مريضا بعد ان هوى من مكانه المرتفع في العمل الى الارض الصلده اللاهبه فينقطع عن عمله ثم بعد ذلك يعمل في حانوت والده ، و يلتقي بصديقه (ذنون) ، الذي حاول أن يوجهه توجيها وطنيا للافكار والمبادىء التي يحملها ثم يقرر قطع صلته بالكليه نهائيا، فيكتب رسالة لصديقته (منى) ، يعلن فيها انها الرسالة الاخيرة بينهما ، وانه لن يراها بعد اليوم لا لشيء ، وانما لانه فقير ولا بد ان يلبي طلبات والديه العجوزان .

بعد مرور عدة ايام تصل الى (احمد) رسالة يتفأجى بها لانها من بغداد ، ومن (منى) بالذات تحثه فيها للعودة الى الكلية للدراسة ، وبيجادها له عملا في بغداد ، وما عليه الا ان يوفق بين الدراسة والعمل . فعلا يعود احمد الى دراستة والى العمل في الوقت نفسه محملا ببعض الافكار السياسية ثم يحاول كسب منى الى جانبه ، ومن ثم اعطاها بعض الكتب السياسيه الممنوعة .

على كل حال الرواية فيها الكثير من الاحداث و المناقشات السياسية والفكرية والفلسفية ، ولعل دخول احمد في بعض هذه المناقشات قادته الى مواقف لا يحسد عليها ، ففي احدى هذه المناقشات السياسية ، ونتيجة لجرأته في الطرح والمناقشة كاد ان يفصل من الكلية ، لولا موقف احد الاساتذة بجانبه في مجلس القسم .

كما انه في مناقشة اخرى حول طروحات الفلسفة الوجودية يرد على الاستاذ الذي كان يمدح هذه الفلسفة باعتبارها فلسفة الحرية والانطلاق ، والفلسفة التي لاتعترف بالقيود ، وكان رده منفعلا وشديدا متهما الفلسفة الوجودية بانها فلسفة الاغلال و التفسخ والفوضى ، فعندما سكت عن الكلام قال له الاستاذ : انك سيء

الادب جدا ... انك قاطعتني بدون استئذان .. انك تحمل فكرا ماركسيا خطرا ، واني امرك بالخروج في الحال من هذا الصف[١].

ثم تجري الاحداث سريعا في هذه الرواية ، ويبقى احمد البطل ، المحور الرئيسي لها ، لما يمتلكه من ثقافة فكرية وسياسية وفلسفية ، وان كان تعامله مع الفكار السياسية اكثر من غيرها لذلك نجده يشترك في الانتفاضات ويجرح فيها (لعله يصف انتفاضات الجسر و الوثبة) . وتزوره صديقته منى بعد ان فصلت من الكلية سنة واحدة ، لانها كتبت مقالا سياسيا ينتقد العهد الملكي .

يتأخر احمد في الذهاب الى اهله فيتبعه شوق امه وابيه الى بغداد ، فتلتقي بهم منى وتخبرهم بانه ذهب في سفرة علمية الى الموصل ، وهي تعرف الحقيقة ، التي تقول ان احمد سجين الزنزانة رقم (٢) .

بعد ذلك ونتيجة لالحاح والديه على انتظاره وروءيته تخبرهم بحقيقة الامر وفي اليوم المقرر لزيارته في السجن ، تعلم ان سجناء الزنزانة رقم (١) أضربوا ومن ثم قتلوا ومن ضمنهم (احمد) وتعود بهما الى القطار وتخبرهما بحقيقة المأساة ، وتسافر معهما الى اهلها في البصرة تاركة الكلية والدراسة للابد وتنتهي الرواية الحقيقة التي لابد ان اقواها هنا انني وجدت صعوبة الفصل بين المؤلف وبين البطل الرئيسي في الرواية او الشخصية المركزية ، وهذا مانجده ايضا في روايته السابقة (الجنة) فهو يحاول ان يوفق بين شعور البطل بحريته الفردية وبين كونه مكافحا مناضلا يلتزم بكل مسؤولياته . فضلا عن ذلك نجد ان احساس حسام محي الدين الألوسي بالذات احساس قوي في اغلب اعماله القصصية ، ولعل هذا واضح بشكل بارز في (حياة طالب مناضل)، حيث نجد ان كل الشخصيات فيها تتحدث عن احمد بطل الرواية ، بل يتحدث نيابة عن المؤلف لان فيها شبها كبيرا بين حياة البطل وحياة المؤلف ، فهي تعبر عن

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

سيرة ذاتية ، وان كنا نعرف تفاصيل حياة المؤلف ، فهو قد ادخل بعض التغيرات البسيطة على حياة البطل ، ولاسيما من حيث وضعه العائلي ، فحسام (الالوسي) ابن عائلة من طبقة مرفهة وليس ابن عامل ولاهو بعامل ، ومنى فتاة يعرفها الالوسي من طبقة غنية ، بل من طبقة حاكمة ، والمحاكمات في الرواية كانت واقعية ، حدثت ليس لبطل الرواية ، بل لطالبة طردت من الكلية .

على الرغم من كل ماتقدم ، لانعرف شيئا عن احمد في الرواية ، سوى انه ذلك الشاب الفقير والمثقف الذي يحاول ان يجمع بين النضال وبين الحرية الفردية والتخلص من القيود والانقياد الاعمى للحكم الديكتاتوري في تلك الفترة مع علمه جيدا ان الهدف الاساسي من كل نضال هو الانسان وتحريره وتمكينه من ان يكون سيد نفسه .

ان اعتزاز البطل بذاته كثيرا عبر مدحه لنفسه واضافة كثيرة لها لاينتقص من هذا العمل ، لان اغلب الادباء العرب الذين كتبوا القصة والرواية في تلك الفترة ، كانت التجربة الذاتية للمؤلف هي المحور الرئيسي ومن هؤلاء الادباء نجيب محفوظ ، توفيق الحكيم ، سهيل ادريس ، مطاع صفدي ، فؤاد التكرلي ، ليلى بعلبكي ، الطيب صالح ، هاني الراهب وغيرهم اخرون .

ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين للاعتقاد ، ان الرواية العربية الحاضرة تستميل الى ضرب من ادب الاعتراضات وان لم ترد بضمير الانا [1] . وبعضهم يعتقد ان كل رواية كتبت اوتكتب يجب ان ترتكز دائما على محور اساسي يمثله بطل رئيسي .

---

(١) طرابيشي ، جورج ، شرق و غرب ، رجولة و انوثة ، دار طليعة ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص ١٢ .

وان كل مؤلف روائي اناني لانه لابد ان يكون له بطل رئيسي يحمل همومه فيود بالتالي ان يعرضها في الرواية [١]. وهذا ما ذهب غولد مان عندما قال : (لابد ان تكون الرواية سيرة ذاتية وتاريخيا واجتماعيا في ان واحد) [٢] .ونعتقد ان الالوسي قد نهج في كتابته في اعماله القصصية نفس المنهج .

وهنا قد يثار سؤال : كيف نستطيع ان نوفق بين شعره المتشائم الناضح بالشكوى وافكار الموت والنهاية ، وبين هذه الروايات والقصص المكافحة ، الرافقة المتفائلة ؟

وجوابنا على ذلك ، ان الالوسي له شعر كثير ، وان ما ركزنا عليه من شعره هو الشعر الفلسفي المتعلق بالموت والجانب السلبي من الحياة ، ان عر الالوسي الاخر وهو كثير ، هو شعر مكافح رافض ، ناقد ، مشارك ، في احداث وطنه وامته ، فهو ينتقد القيم السائدة المحذرة ، والاوضاع السياسية من استعمار ، وحكام اعوان له ، والنظام الملكي ، وله قصائد عديدة يحي ثورة ١٩٥٨ وبعضها نشر في جريدة (البلاد) في حينها وكذلك في جريدة (الانسانية) وله قصائد يحي ثورة الجزائر ، ونجد له وصف رائع لمخيمات اللاجئين ، وقصائد لفلسطين ، وقصائد نضالية في تحية بعض شهداء الوطن ، ومعارضات للرصافي والجواهري ، وكان احيانا يترك الدرس في طويريج ، يملي على الطلبة قصيدة يصف فيها احوالهم ، ويبشرهم بمجيء عهد جديد ، كما لاتخلو القصيدة من قصائده الشاكية من تذكير بان فجرا جديدا سيطلع مبددا الليل والظلام ، لذلك لانجد تناقضا بين شعره (ككل) وبين قصصه ورواياته ، فهو فيها جميعا نجد ، رافض ، ناقد للقديم وواعد مبشر بالجديد الذي سيجيء ، وتشاؤمه ما هو الا الجانب السلبي في منظوره حيث

---

(١) ادريس ، سهيل : مذكرات روائي ، مقال ، مجلة الآداب البيروتية ، عدد ٣ ، ١٩٦٣.

(2) Coldman , Lucien , Pouroune . Sociologie du Roman , Ed. Cunimard , Parois , 1964. P.28.

لايوازيه (تفاؤل) لا حدود له بمجيء عالم جديد في فكره وقيمه واسلوب حياته .

وهذا كله له حديث اخر ، وحبذا لو طبع الالوسي شعره كله ، واعاد الحياة الى قصصه ورواياته ، ولو من باب شهادتها عليه ، ووثائق تخص مسيرته ودراسته .

ختاما نقول ، ان الادب الفلسفي ، هو ذلك الادب المشبع بهموم الفلسفة وتساؤلاتها والذي يبقى مع ذلك او ربما لذلك ادبا جميلا مؤثرا ومتميزا [١] كما انه ذلك الادب الذي يمتاز بقوة الاسلوب وعمق الفكرة ، التي نجد فيها بعدا فلسفيا واضحا ، مع احتفاظه بالمقومات الفنية للادب وتأكيده على جانب الاثارة والمتعة [٢]. وهذا ما ينطبق على حسام محي الدين الالوسي في اشعاره وقصصه ورواياته ، حيث استطاع ان يزاوج بين الفلسفة والادب ، لانه استاذ فلسفة ، ويعشق الادب ، كما انه مفكر يعطي للانسان اهمية كبيرة ويعرف جيدا ، ان الفلسفة والادب يمثلان بصورة لاتقبل الشك احد المحاور الرئيسية في الفكر الانساني .

---

(١) شيا ، د. محمد شفيق : في الادب الفلسفي ، مؤسسة نوفل ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص١١٣ .

(٢) الناصر ، حازم سليمان : الفلسفة الوجودية في الرواية العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الفلسفة ، ١٩٩٥، ص٢٣ .

المصادر :

الآلوسي ، د. حسام محي الدين :

اولا – المؤلفات :

(١) حوار بين الفلاسفة والمتكلمين ، بغداد ١٩٦٧ .

(٢) الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ، بيروت ١٩٨٠ .

(٣) الفلسفة والانسان ، دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٩٠ .

ثانيا – القصائد :

(٤) الرباعيات ، ١٩٥٢ .

(٥) ابتهالات ، كتبها بعد الرباعيات ، ١٩٥٢ .

(٦) مسرح الحياة .

(٧) حلم ليلة ، ١٩٥٤ .

(٨) الغربة .

(٩) الخروج من الجنة ، بنغازي ، ١٩٦٨ .

(١٠) مع اهل الكهف ، بنغازي ، ١٩٦٨.

(١١) السفينة في اليم ، بنغازي ، ١٩٦٨.

(١٢) الجمعة الحزينة ، بنغازي ، ١٩٦٨.

(١٣) رجاء ، بنغازي ، ١٩٦٨.

(١٤) اربعينية والده ، ١٩٦٩.

(١٥) رثاء ابن خاله (نزار) ، ١٩٧٨.

(١٦) مداعبة مهداة الى رضيعة رافدة ، ١٩٨٦.

(١٧) الى ازهار وصغارها ، ١٩٨٧ .

(١٨) لقاء الاحفاد بالاجداد ، ١٩٩٣.

(١٩) في الذكرى الاربعين ، ١٩٩٢ . ونشرت في جريدة القادسية ، شباط ١٩٩٤ .

(٢٠) العام الجديد ، ١٩٩٦ .

(٢١) الضياع ،١٩٩٦ .

(٢٢) الاماني الكاذبة ، ١٩٩٦ .

(٢٣) محي الدين ومحب الدين ، ١٩٩٦ .

ثالثا – القصص و الروايات :

(٢٤) اقوى من القدر ، ١٩٥٢ .

(٢٥) عائد من السجن ، ١٩٥٢ .

(٢٦) المنتحرة ، ١٩٥٢ .

(٢٧) نهاية اب ، ١٩٥٢ .

(٢٨) اليتيم ، ١٩٥٣ .

(٢٩) طريق الخطيئة ، ١٩٥٣ .

(٣٠) حقيقة الفضيلة في الارض ، ١٩٥٣ .

(٣١) الى المبغى ، ١٩٥٤ .

(٣٢) الجنة (رواية) ، ١٩٥٤ .

(٣٣) حياة طالب مناضل (رواية) ، ١٩٥٤ .

رابعا – البحوث والمقالات :

(٣٤) مفهوم الزمن في الفلسفة عموما وفلسفة العلم خاصة ، بحث ، مجلة الرواد العراقية ، عدد اول ، ١٩٩٦.

(٣٥) الزمان ،محاضرة في ملتقى الرواد ، بغداد ، صيف ، ١٩٩٥ .

(٣٦) بعض مني على الورق ، مقال ، جريدة بابل العراقية ، العدد ٤٩٩ ، كانون الاول ، ١٩٩٢ .

ادريس ، سهيل :

(٣٧) مذكرات روائي ، مقال ، مجلة الادب البيروتية ، عدد ٣ ، ١٩٦٣ ، سيا ، د.محمد شفيق .

(٣٨) في الادب الفلسفي ، مؤسسة نوفل ، طبعة اولى ، بيروت ، ١٩٨٠

طرابيشي ، جورج :

(٣٩) شـرق وغرب ، رجولة وانوثة ، دار طليعة ، بيروت ، بلا تاريخ .

المطبعي ، حميد :

(٤٠) حسام محي الدين الالوسي (موسوعة الادباء والمفكرين) ، الجزء الثامن عشر، دار الشؤون الثقافية ، الطبعة الاولى ، بغداد ، ١٩٩٣ .

(٤١) لقـاء مع المفكر حسام الالوسي ، جريدة الثورة العراقية ، صفحـة تحقيقـات (الجذور)، ٢٧ نيسان ، ١٩٨٧.

الناصر ، حازم سليمان :

(٤٢) الفلسفة الوجودية في الرواية العربية المعاصرة ، رسالة دكتوراة ، جامعة بغداد، كلية الاداب ، قسم الفلسفة ، ١٩٩٥ .

- Coldman ; lucien , Pourune Sociologie , duroman ,Ed Cunimourd , Paris ,1964.